قافلة الإسلام
في أصل الحديث

' ١١٨- وردة الحب '

وضعت فوق رأسى وردة حب وجهك الجميل
ثم جعلت عينى السوداوين سنبلا أسود لضفائرك
أنت نفسك حينما تمسك المرآة بيديك تختار
فمن أين لى أنا الصبر وتحمل المشاق؟
تقوم بالتنزه فى المرج وقبضة يدك مملوءة بالأزهار
الله يعلم إن كنت تحمل فى قبضتك أزهارا أم قلوبا
شاهدت المسك، وكذلك العنبر فى هذا العالم
فهنيئا لك! ما أجمل خصلة ضفائرك كالمسك!
لم يشاهد أحد روضة أزهار مثل روضة وجهك
ولن تبلغ آهات البلابل مبلغ آهاتى
هكذا يتظاهر بالتغافل فى الجفاء والجور عليك
والناس يحتارون فى دهشة لتغافل عبد الرحمن ذلك

" ١٣٩٠ "

' ١١٩- الحاصل والمردود '

لم أتمكن من الحصول على شئ فى هذا العمر
وهكذا بقيت مردودا وغير مقبول

ما عثرت على شمة من رائحة الوصال[1] بعد
حتى سمانى الله واصلا[2] بمجرد السيف
إننى غارق هكذا فى دوامات الذنوب
بحيث لم أستطع أن أرى الساحل بعينى
يخرجنى من الوطن ويطردنى عنه فى كل وقت
وعيّن الرقباء كرجال للشرطة ليقوموا بمطاردتى
إن كلا من البلاء، والجفاء، والوفاء
هذه الأشياء كلها قد أنزلها الله علىّ
لقد نجست نفسى ولوثتها بنجاسة الدنيا
حيف وأسف على أننى ما أصبحت عالما ولا عاملا
أصبحت لحيتى السوداء بيضاء، وأنا فى حيرة[3]
بأننى أنا عبد الرحمن ما أصبحت بالغا ولا عاقلا

" ١٣٩٧ "

---

(١) الوصال: وهو عند أهل التصوف أن يتصل سر الصوفى بالحق بحيث لا يرى سواه، ويغيب عن نفسه حتى لا يعى وجودا لأحد. وهو يتم بلزوم الأسباب وترك الخلاف، والنفاذ فى الخدمة، والصبر على الشدائد وصيانة الكرامات

(٢) الواصل:الوصل فناء العبد بأوصافه فى أوصاف الحق. راجع ص٢٩٩هـ٢ من هذا الكتاب.

(٣) الحيرة: فى مفهومها الصوفى ما يرد على قلب الصوفى حين يتفكر ويتأمل بحيث يحجب تفكره وتأمله. فمن أراد أن يعرف سر الخالق أحرقه نور الربوبية فبقى فى حيرة، ومن شاء أن يطلع على علم الحق أحرقته غلبة هذا العلم فكان حائرا.

١٢٠- لا تصغ إلى قيل وقال

لا تصغ إلى قيل وقال لمن هو خبيث الأصل
لا ينبغي "الإصغاء"[١] إلى قيل وقال سيئ الفكر
إما أن يكون يتفاخر بأهله ونسبه وحبه
وإما أن يكون يتفاخر بآله وأصله وعياله
إما أن يكون في ذكر الملذات والزينات
وإما أن يكون في فكر المال والمنال
إما أن يبدأ كلاما فاحشا وحديثا فارغا
بحيث مضمون حديثه لا يكون حلالا ولا حراما
مثل صحبة العاقل وغير العاقل
كأن يمتزج الياقوت والكوتيلال[٢] معا
نعم[٣]، كأن يختلط الياقوت والكوتيلال معا
أو كالصحبة والمرافقة بين عيسى والدجال
إن الحياة التي تمر مع من ليس من جنسه
فماذا تكون أحوال وأخبار تلك الحياة؟

---

(١) الإصغاء: من إضافتي والسياق الشعري يتطلب إظهارها وإضافتها.

(٢) الكوتيلال: نوع من النبات ينبت في المناطق الحارة بكثرة، يعلو حوالي ٣٠سم، ثمره أحمر اللون جميل يشبه الياقوت في احمراره، ورقه مدور كبير. وهو يشبه الخرنكش.

(٣) نعم: من إضافتي، والمقام يقتضي تقديرها وإظهارها.

إن أمـــور الدنيـــا وأعمالهـــا فانيـــة، والرجـــل هـــو
الـــذى يعلـــم الثـــواب والوبـــال وســـوء العاقبـــة
إن لســـير نهـــر " أباســـيند "[1] وجريانـــه مجـــال
ليـــس لأعمـــال الدنيـــا وحوادثهـــا مجـــال أبـــدا
إن اتخـاذ التدابـير فـى أمـور الدنيـا كـالحلم والخيـال
كيـــف يعتمـــد أحـــد علـــى الأحـــلام والخيـــال؟
كـالملك والمـال يظهـــر لـــه فـــى الحلـــم ويبـــدو
وعندمـــا يســـتيقظ لـــن يكـــون لـــه ملـــك ولا مـــال
كـــالرغوة والزبـــد الـــذى يبـــدو علـــى المـــاء
فحـــين يمـــد يـــده إليـــه لا يـــأتى فـــى مخلبـــه شـــئ
كالدخـان الـذى يبـدو كالجبـال الضخمـة الشـامخة
يتبـــدد ويتشـــتت بهبـــوب هـــواء خفيـــف
كـــالجليد الـــذى يتجمـــد بقـــوة الـــبرد الشـــديد
لا يكـــون لـــه مجـــال وطاقـــة أمـــام الشـــمس أبـــدا
حينا ينزل المطر مدرارا وحينـا تصبح السماء صافية زرقاء
كســـحاب شـــهر الأمطـــار فـــى موســـم الربيـــع

---

(١) أباسيند: أو أباسين من أشهر أنهار بلاد الشاعر عبد الرحمن، وهذا الاسم مركب من كلمتين " أبا " وتعنى الأب، و " سيند " تعنى النهر، ومعناه بعد التركيب: أب النهر، أى أب أنهار البلاد، ويتردد اسم هذا النهر كثيرا فى الآداب الأفغانية. راجع ص ٢٤٣ هـ١ من هذا الكتاب.

يقـــوم بالبنـــاء فـــى ســـاعة، ثـــم يقـــوم بهدمـــه
كالـــتراب والطـــين فـــى يـــد صـــانع الفخـــار
لا وجـــود للوفـــاء فـــى عشـــيقات المجـــاز[1]
لقـد قـرأت هـذا الطـالع وجربـت هـذا الفـأل ألـف مـرة
لا تعتمـــد علـــى مســـراته ولا علـــى همـــه وغمـــه
فإنـــه لا ثبـــات ولا قـــرار لهجـــره[2] ولا لوصالـــه[3]
حينـــا يـــنزل علـــى الوجـــه كالفخـــار الأســـود
وحينـــا يـــنزل علـــى الوجـــه كـــالمنديل النـــاعم
إن مثلـى فـى هيمنـة الـرأس والاضطـراب فـى العشـق
كـــالملح الـــذى قـــد وضعـــه شـــخص فـــى المـــاء[4]
عندمـا ألتفـت إلى مهاجمـة المـوت ومـا فيـه مـن الخسـارة
أرى نفسى من ظلال ذلك موطأ بالنعال كنملة تحت الأقدام

---

(١) عشيقات المجاز: العشق عنـد الصوفيـة نوعـان.. العشـق الحقيقـى، وهـو محبـة الله وعشـقه وحبه، والعشـق المجـازى وهـو عشـق الإنسـان للإنسـان وعشـق النـاس للأمـور والشـئون الدنيوية. راجع ص ١١٨ هـ٣ من هذا الكتاب.

(٢) الهجر: الهجران وهو أن يلتفت العاشق إلى غير الله. راجع ص٣٣٦ هـ٢ من هذا الكتاب.

(٣) الوصال: هو أن يتصل سر الصوفى الحق بالحق بحيث لا يرى سواه، حتى يغيب عنه نفسه. راجع ص ٣٥٠ هـ١ من هذا الكتاب.

(٤) قدمت ترجمة الشطرة الثانية على الشطرة الأولى للضرورة المعنوية.

إن قلبـى النشـــوان يطلـب الســفرجل إلا إن المشــكلة
فــى أنــه يظهــر لى كــل ســنة فــأس "لقطعــه "[1]
إن تمكنــت مــن وصــال الحبيــب فأنــا كــفء ونظــير
وإلا فــإن عبــد الرحمن ليس بنظـير ولا بكــفء لأحــد

" ١٤٢٠ "

' ١٢١- الفراق والفؤاد '

لقـــد أضعـــف فراقـــك قلبـــى
بحيــث تنــازل قلبـــى هـــذا عـــن نفســه
يمسك أيدى النـاس وأرجلهـم طالبـا الدعـاء
هكــذا حّمــل الحــب قلبــى منـــة النـــاس
لقـــد أصابـــه العشـــق بجـــروح كثـــيرة
بحيــث جعلــه كلــه روضــة شــقائق النعمــان
مـــا لقـــى إنســـان أذى بـــدون ســـبب
فبـــأى ســـبب آذيـــت قلبـــى؟
لقـــد ســـحبت قلبـــى بحبـــل الضفـــائر
فجعلتـــه أســـيرا يتحمـــل البـــلاء
قـد تمكنـت عينـاك مـن الإقامـة فـى قلبـى
بحيـــث جعلـــه يتنـــازل عـــن غـــيره

---

(١) لقطعه: أضفت هذه الكلمة لتوضيح المراد من الفأس.

أنا عبد الرحمن أتحمل منة العشق وإحسانه
بحيث جعل قلبي يعشق المحبوب

" ١٤٢٧ "

' ١٢٢- الدلال والعين '

من يخفي عينيه من الدلال
كيف يرى من قتلهم وظلمهم بعينيه؟
عندما يوجه إلىّ شتائمه بغضب
فإنه يعتبر ذلك منة منه وإحسانا
إنه يتحدث بالإشارة من الدلال
متى يذكر اسم أحد على لسانه؟
حين يثبت على صدره برعومة
فإن العاشق يثبت يديه على صدره بقوة
يفقد مشتريه شعوره من شدة الحيرة
عندما يكشف له فى دكانه بضاعة حسنه
حين يبدو له وجهه فى المرآة
يلقى برأسه أكثر انخفاضا على نفسه
كل من يرغب فى عشقه بنزوة هوس
كأنه يلعب فى ذلك بدينه وإيمانه
لا يصرف النظر عن مال أحد وحياته
لقد شاهدت بنفسى حال المطلوبين

إن المجنون سيطر على ملك العشق عندما
قام بإحراق منزله وأثاثه في النار
هذا المقام مقام هؤلاء الناس الذين
لا يرون بعيونهم منافعهم ولا خسائرهم
هنيئا للعشاق والمحبين بعلو همتهم
حيث يرون الحبيب أغلى من المال ومن الحياة
لا طعم ولا لذة لفتح العيون نحو أحد
عندما لا يرى عبد الرحمن المحبوب بعينيه

" ١٤٣٩ "

' ١٢٣- الانفصال والعيون السوداء '

لقد ابيضت عينيّ السوداوان بالبكاء من الفراق
ثم تلونتا محمرتين بمهجة الفؤاد مرة أخرى
كنت أقول: إنني سأقوم برؤية الأحباب
و لم أكن أعرف بأن الأحباب قد تحدد رحيلهم
منهم من ألقى بنفسه في النار كالفراشة
ومنهم من يعيش حيا كالبلبل الناري[1] في الليل

(١) البلبل الناري: حشرة تضيء بالليل حمراء اللون تسمى بالعربية حباحب (اليراعة). يلاحظ بأن في ترجمة الشطرة الثانية من البيت نوع من الاضطراب بسبب هذه الكلمة.

حـــدث للموتـــى صعوبـــات المـــوت ومشـــقاته
والأحيـــاء أصبحـــوا محزونـــين فـــى حيـــاتهم بموتهـــم
إن جنـــود القضـــاء قـــد مـــدوا أيديهـــم للهجـــوم
بحيث أصبح ألف خسرو[1] وألف شيرين[2] تحت الأقـدام
مـن كـان يضـع قدمـه عاليـة فـى السماء مـن الـدلال
قـد أصبـح هـؤلاء المدللـون المتفـاخرون تحـت الأرض
مـن كـان ينـام دائمـا علـى فـرش مـن السـنجاب
ينـام الآن علـى الأرض بـلا فـرش وبـلا وسـادة
لمـاذا لا يكـون خـاطر عبـد الرحمـن حزينـا مضطربـا
فـى حـين حـزن منـه واضطـرب جميـع الجلسـاء

" ١٤٤٧ "

---

(١) خسرو: لقب عدد من الملوك فى العهد الساسانى، والمراد منه هنا خسرو پرويز من أبناء هرمز وحفيد أنوشيران. وهو أول من أرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم رسالة يدعوه فيها إلى اعتناق الإسلام إلا أنه استكبر و لم يعتنق الإسلام. وله قصة حب مشهورة مع جاريته شيرين.

(٢) شيرين: اسم جارية للملك خسرو پرويز الساسانى الذى وقع فى حبها، ولكن قلبها قد خفق لمن يسمى فرهاد. وقد نظم الشعراء قصة فرهاد وشيرين، وطوعوها لمعان كثيرة صوفية وعاطفية راجع ص ٢١٩ هـ٢ من هذا الكتاب.